دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الوحدة الحقيقية
ستكون إلهاماً للعالم

تُرجم إلى الإنجليزية والألمانية

الأب متى المسكين



١ ـ لا مساس بالعقيدة

العقيدة في الكنيسة تعني وجودها ، فلأنه وُجدت عقيدة قبطية أرثوذكسية وُجدت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية . والعقيدة هذه إذ لا تزال موجودة كما هي ، فالكنيسة القبطية لا تزال قائمة كما هي أيضاً . وكل عقيدة ليست مجرد بنود أو مقولات أو قوانين ، بل هي أولاً عبادة روحية وإيمان حي ذو سمات معينة واضحة ومميزة . وهذه السمات المعينة والمميزة هي التي تعطي كل عقيدة طابعها الذي بقدر ما تتمسك به تحيا وتدوم ، وإلا فإنها تتغير عن شكلها بل و يتغير اسمها وربما تزول .

و بقاء المميزات الخاصة للعقيدة على مدى العصور لم يكن عن طريق الحفظ العقلي أو أمانة التدوين أو الدفاع والمحاماة بقدرما كان من واقع الحب والعشق والممارسة الحية والشرح والتوضيح والتأمل والتوسع في التوصيف والتعريف واكتشاف أعماق الحق المخفي في هذه العقيدة ، فصار كل هذا معاً تراثاً ثميناً حياً تتناقله الأجيال بالتسليم الحي ثم بالتدوين ، فبقيت الكنيسة ومعها عقيدتها . وعلى مدى الأجيال تم تسجيل العقيدة تسجيلاً شمل كل محتوياتها بأدق الشروحات والتعريف والتقنين ، حتى صار تاريخ أي كنيسة هو تاريخ عقيدتها ، وأصبح تاريخ رؤسائها والبارزين من معلميها هو في الحقيقة تاريخ مدى تمسكهم بها أو تخاذلهم عنها ، حتى صارت العقيدة في الكنيسة ذات إطار قانوني يستحيل التفريط فيه أو التزحزح عنه لأنه يشكل كيانها ، كما سبق وقلنا ، و يعبّر عن وجودها وتاريخها وحبها وروحها .

وهكذا استوطنت المسيحية ، أو بالحري المسيح ، في كل وطن آخذاً من كل وطن شكله ومميزاته ومعطياً له بالتالي حياته . فالمسيح يبدو في أفريقيا وكأنه أسود اللون ، وفي

دول الشمال يبدو أشقر بحلاوة، والمسيح في الهند أسمر اللون وعند الإسكيمو يكاد يكون قصير القامة جداً. ولكنه في كل هؤلاء هو المسيح الواحد بعينه، مسيح الجلجثة والقبر والقيامة، مسيح كل العالم.

لأجل هذا أصبح من غير ذي جدوى أن تحاول الكنائس في تحرقها لوحدة مسيحية أن تغير من مقولات عقيدة أي كنيسة لا بالحذف ولا بالإضافة، وإلا نكون كمن يريد أن يسلخ جلد الأفريقي أو يصبغ جلد الأوربي، أو كمن يريد أن يمحو هوية الإنسان(١) ليوجد مسيحاً بغير إنسان!

وهل معنى هذا أن نتخلى عن الوحدة المسيحية؟ حاشا. فالوحدة المسيحية مطلب الإيمان الأعظم، وهو يتدفق في كياننا ويهز قلوبنا ومشاعرنا. فنحن نطلب الوحدة بدموع لأننا نطلب المسيح. ونريد أن نعيشها بالروح والحق، لأننا نريد أن نذوق المسيح ونعيش حبه ونستمتع بسر وحدانيته مع الآب، هذه الوحدة التي هي جوهر الحب الإلهي. المسيح نفسه يدفعنا إلى طلب هذه الوحدة ويلقنا إياها: «لست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم. ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا... أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكملين إلى واحد!... ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم.» (يو١٧: ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٦)

وعلينا أن نلتفت بفهم لعمق هذا الدعاء، لأن المسيح لا يطلب لنا وحدة الحرف بل وحدة الروح، لا وحدة الفكر والرأي بل وحدة الحب، كما أنه لا يتوقف قط عند وحدتنا في فهم المسيح بل ينتهي مباشرة إلى وحدتنا في المسيح؛ وذلك لا يأتي بإجتماعنا في حضرته في صورة مجلس مصالحة فكرية؛ بل لا يأتي إلا بأن «يكون فيهم **الحب**، وأكون

---

(١) الكاتب يكتفي بذكر اللون والقامة والجمال مستهدفاً معناها الباطني من مقاييس أعماق الفكر والوجدان والفلسفة وعنف التراث الطبيعي والعقلي والروحي للقبائل والشعوب.

أنا فيهم».

فهل معنى هذا أن نبطل مؤتمرات الصلاة وجلسات البحث والمناقشة وعرض الأفكار والإجتهاد في تقريب وجهات النظر؟ حاشا. ولكن القضية الخطيرة التي نعرضها هي بأيها نبتدىء؟ بالحرف أم بالروح؟ بالقانون أم بالحياة؟ بمضمون الإيمان والعقيدة أم بجوهرهما؟ وليكن في علمنا أنه إذا بدأنا بالحرف فسنقتل الروح وتنتهي الجلسات إلى مجرد صيغ وكلمات، وإذا بدأنا بالقانون فسيتراءى على ضوئه أننا دائماً على حق بكل يقين وأن غيرنا دائماً على باطل بكل يقين، وحول هذا سنلف وندور حتى يتسرب منا الزمن ومعه الحياة. وإذا بدأنا بالمضمون في العقيدة فلن نقوى أبداً على بلوغ الجوهر. أما الروح فهو الذي وضع الحرف، وهو وحده الذي يستطيع أن يكمله ويحييه. والحياة في المسيح هي التي انصبت في قالب الفكر فصار قانوناً للإيمان. والحياة في المسيح هي وحدها التي تفك جمود القانون ليستوعب مزيداً من الحياة والإمتداد والشمول. أما جوهر العقيدة فهو المسيح الذي لن يحده مضمون!

٢ ـ الخروج من جمود الإنقسام

إذن يتحتم أن يبدأ الحوار العقيدي بالروح لا بالحرف؛ بقبول الحياة في المسيح الواحد أولاً قبل توحيد بنود القانون المتعدد الأشكال والأفكار، وأن نعيش معاً في جوهر العقيدة الواحد قبل أن نتفق على المضمون. وجوهر العقيدة أو المسيح يقوم على الحب والبذل والفداء والتنازل الكلي حتى إلى صورة عبد. وبهذا ينتهي هذا الحوار القلبي مع الضمير إلى نتيجة تكاد تكون مذهلة للعقل، ولكنها صادقة تنطق بصوت المسيح نفسه، على ثلاث خطوات:

الخطوة الأولى: أن تتبادل الكنائس في وقت واحد رفع الحرم، الواحدة عن الأخرى، لأن هذا الحرم هو ضد مشيئة الروح القدس، وقد حدث عن جهل كل كنيسة بروح وضمير الكنيسة الأخرى وبسبب التمسك بالحرف لا بالروح. وهذا الحرم المتبادل هو السبب الأساسي الذي عرقل كل محاولات الوحدة في جميع الإجتماعات والجلسات السابقة، لأنه كيف يتم الإتفاق على صيغة السلام والوحدة وكل كنيسة تحت الحرم من الأخرى؟

الخطوة الثانية: الإعتراف المتبادل والمتزامن بين الخلقيدونيين واللاخلقيدونيين بعقيدة كل منها على أساس الجوهر لا المضمون، أي على أساس موجبات الخلاص والحياة الأبدية الذي توفره عقيدة كل منها بواسطة يسوع المسيح العامل فيها بصورة واحدة برغم اختلاف النصوص.

الخطوة الثالثة: الدخول في حوار المضمون ورفع الغموض بالشرح وليس بالحذف أو بالإضافة في بنود العقيدة المسلّمة حرفياً بالتقليد لكل منها، لتوفير صيغة مصالحة تتناسب

مع وحدة الشركة والروح، دون المساس بكل ما يتعلق بتاريخ العقيدة وتفرعاتها من مؤلفات ومجامع.

أي أن يحدث بين المتناظرين الأرثوذكس إعتراف متبادل ومتزامن بصحة عقيدة كل طرف وقبول الشركة في المسيح بل بالحري قبول المسيح نفسه في شركتنا وأن نتناول من كأس واحد، لا على أساس الحرف المسجّل في القانون بل على أساس المسيح الحي الساكن في قلب كل كنيسة والروح القدس العامل والفعّال فيها للخلاص. ثم نبدأ حوار الصيغ والبنود بعد ذلك دون أن يُمسَّ تراث كل كنيسة وتقليدها الروحي ومفهومها اللاهوتي وكل ما تفرع منه من مؤلفات ومجامع.

وهنا سوف يلزمنا المسيح الواحد، ونحن بحضرته متحدين بالروح في محبة الله وشركة الروح القدس، سوف يُلزمنا بل سوف يُلهمنا بالفكر الواحد والقول الواحد والكلمة الواحدة، دون أن تفقد كل كنيسة خواصها ومميزاتها اللاهوتية، وهي هي خواص المسيح الواحد الذي يحيا فيها. أو بحسب المثل الذي سبق أن قدمناه، تصير شركة واحدة بالروح في الإيمان الواحد دون أن يُطالَب الأسود بأن يسلخ جلده أو يُجبَر الأبيض أن يصبغ وجهه. فالمسيح في العالم، إذ قد استوطن الجنوب والشمال، أخذ شكل الجميع فصار «حبيبي أبيض وأحمر»، «أنا سوداء وجميلة.» (نش ٥: ١٠، ١: ٥)

٣ – الكنيسة في مواجهة العالم

الكنيسة حينما تواجه العالم لا تقف عند حد، فالعالم كله هو حقلها المفتوح لعملها الروحي تجاه كل أيديولوجياته الإيجابية والسلبية وأوضاعه وسياساته وحكوماته المتخالفة «اذهبوا إلى العالم أجمع» (مرقس ١٦ : ١٥)، «في جميع الأمم» (مرقس ١٣ : ١٠)، (متى ٢٨ : ١٩) – إلى كل إنسان – الإنسان بحد ذاته، خُلْواً من فكره وسلوكه هو موضوع اهتمامها. وعمل الكنيسة في العالم هو حياتها في المسيح وفرحها فيه وخبرتها معه، معلنة أولاً في سيرة مقدسة كقدوة رائدة، ثم مقدمة في كلمة مودة صادقة ملهمة وفعل مسرة معزي بردّ قلوب الأبناء على الآباء والآباء على الأبناء، لتطويع فكر الإنسان وقلبه إلى الحياة الفضلى.

والمسيح لم يأتِ إلى كنيسة ما بوضعها المحدود في بناءٍ ما أو تحت آسم ما أو في بيئة معينة أو شعب خاص بفكر وتراث خاص كما كان ملتزماً بخيمة الإجتماع قديماً أو في هيكل، بل أرسله الآب إلى العالم الذي أحبه، إلى الخليقة كلها التي صارت هيكله بلا حدود «وهيكل الله مقدس الذي أنتم هو» (١ كو ٣ : ١٧). ولم يحدث قط أن جاع العالم في غربته عن الله كما هو جائع اليوم إلى الحق والعدل والسلام والمحبة، حتى استُعبد إلى كل فكر واتجاه. الكنيسة فيها خبز الحياة للعالم، هي بيت لحم لكل الأمم. وقد استودعها المسيح سلة السبع خبزات التي لا يزال فيها سر إشباع الخمسة أو السبعة آلاف ملايين. والجوع ليس إلى الخبز كما هو إلى كلمة الحق والحب والحياة، و يا ليته جوع صادق نحو الله يحسه الناس كما كان منذ القديم، بل ومنذ خمسين أو مائة عام فقط، بل إنه جوع متمرد، فالنفس في حاجة قصوى إلى الله، ولكنها انصدت عنه تحت عوامل كثيرة، كان أهمها ولا يزال إهمال الكنيسة ورداءة المرعى وجهل الرعاة، وتم اليوم مثل

المسيح أن الأجير تهرب منه الخراف ليتولى رعيها الذئبُ. وخبز الحياة إذا لم يكن معجوناً بعرق التقوى مخبوزاً بنار التجارب والخبرة المتقنة تعافه النفوس!!

وكان في الهيكل قديماً منارة تشير إلى حضرة الله وسط الشعب ليضيء فكرهم وسط مجاهل العالم الوثني آنذاك. الكنيسة الآن هي هذا النور عينه القادر أن يضيء كل مجاهل الإنسان في الدنيا كلها، استودعه الله العالم ليضيء قدام كل الناس طريق الحياة والخلود، لا تستعصي عليه ظلمة مهما استبدت بفرد أو جماعة أو شعب أو دولة إلا بقدر ما تتخاذل الكنيسة أو تتحول هي عن نورها وتستوطن الظل.

الظلمة الآن تصارع النور، والنور ينحسر أمامها كسيراً و يكاد مصباح الله ينطفىء في يد الكارز والمعلم. لأن نور الكنيسة لم يعد يستمد زيته من مخازن التقوى والنعمة التي تفيض على قلب الشاهد بالكلمة فتنطلق الكلمة كما من فم الله «كما من الله نتكلم أمام الله» (٢ كو ٢ : ١٧) تُبدد آراءَ القلوب المغشوشة والمهمومة بتخمة عالم العقل والتكنولوجيا التي أفسدت بساطة الحياة بالروح في المسيح. فلم تعد الكلمة المتقنة وحدها قادرة أن تحرك قلوب الناس، ولكنها أصبحت في مسيس الحاجة إلى برهان الروح والقوة ليستطيع الكارز أن يسلم شخص المسيح الحي للناس مصلوباً وفادياً قادراً أن يملأ فراغ القلب والفكر والنفس بكل مسرات الروح، لتذوق كل نفس وتشبع من القربى من الآب في ملء الروح القدس وقداسة المسيح.

ولكن في عرف سفر الرؤيا ليس لكل إنسان أن يقول للآخرين «تعالوا»، بل «كل من يسمع فليقل تعال» (رؤ ٢٢ : ١٧)، وليس للكارز أن يقدم نفسه وإلا ماتت الكلمة في فه «فإننا **لسنا نكرز بأنفسنا** بل بالمسيح يسوع رباً ولكن **بأنفسنا عبيداً** لكم من أجل يسوع» (٢ كو ٤ : ٥). متى تضع الكنيسة نفسها بالنسبة للشعب موضع العبد؟ العبد لا الخادم، لأن الخادم له حقوق وله أجر، أما العبد فعليه واجبات وليست له حقوق، يخدم بأمانة ولا ينتظر أجراً على خدمته ولا على أمانته، و يكفيه أن يبقى فرحاً في بيت سيده!! **مستعداً غاية الإستعداد** أن يضع حياته من أجل سيده ومن أجل أولاد

سيده!! هكذا قامت وتقوم الكنيسة على أساس حد الإستشهاد وليس عند حدود الكلمات «من أجلك نُمات كل النهار.» (رو ٨: ٣٦)

والكنيسة في الإنجيل وفي فكر المسيح عروس، فإذا استهانت العروس بطهرها ولم تقدس ذاتها — ممثلة في كل من يحمل اسمها أو ثوبها — فمن يا ترى يعشق الطهر أو يقوى على القداسة أو يأتي إلى العريس؟ أو من يلوم الذين دخلوا ثم خرجوا نادمين؟

والكنيسة في سفر الرؤيا ينبوع ماء حي كمعلمها، بحسب الروح الذي فيها «الروح والعروس يقولان تعال. ومن يسمع فليقل تعال. ومن يعطش فليأتِ. ومن يُرد فليأخذ ماء حياة مجاناً» (رؤ٢٢: ١٧). فإذا نضب نبع الروح والحب والتقوى في الكنيسة فبماذا تنادي؟ وإذا نادت فمن يسمع ومن يأتي ومن يشرب وإلى أين يذهب العطاش إلى البر؟ فإن هم ضلوا فطلبوا العزاء والمسرة من ينابيع الشيطان فمن يلوم بعد؟ ومن يُلام إلا الكنيسة؟ فالعالم مليء بمعارف وعلوم وأيديولوجيات بلا عدد، ولكن نبعاً واحداً استودعه الله الكنيسة ينبع إلى حياة أبدية.

والكنيسة في أمثال المسيح ذات المعاني الممتدة عبر العصور والمتصلة بالملكوت هي اللؤلؤة الفريدة التي وجدها التاجر الحاذق، فباع كل ما عنده واشتراها، فصارت له مصدر الغنى الذي يبقى بعد فناء الزمن، لأن اللؤلؤة في سفر الرؤيا هي الباب المؤدي إلى أورشليم السمائية (رؤ ٢١: ٢١). وفي تعليم المسيح يتضح أنه هو هذا الباب عينه المؤدي إلى الحياة الأبدية.

ولكن إذا فسد ذهن الكنيسة عن البساطة التي في المسيح، وإذا أمالت الحية (التي خدعت حواء بمكرها) قلب الكنيسة إلى مجد هذا الدهر وإلى الإتكال على أمواله وقوته وتجارته المتعددة وشهوة سلطانه المفسدة، فهل يبقى بعد لؤلؤة؟ وهل تبقى قدرة على معرفة الطريق إلى الباب أو كلمة السر في العبور. وإذا انكشف هذا العجز فمال كل واحد إلى طريقه وتعددت الرؤى وتعددت الآراء وكثرت الضلالات، فمن يلوم ومن يُلام؟ ومن

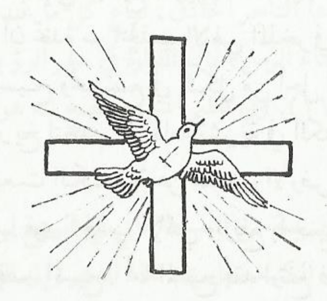
يصحح الأفكار، والفكر لا يصححه فكر، بل تصححه حياة قائمة على فكر صحيح، والإنجيل والآية والعظة تعبير تقوي وبدون سر حضرة المسيح تصبح تجارة لحساب الذات وليس لحساب المسيح.

المسيح استودع الكنيسة سر جسده. فالكنيسة إما تكون جسد المسيح «ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١: ٢٣)، أو تكون فارغة ولا شيء يملأها. جسد المسيح ميزته العظمى أنه لا يزال قابلاً كل يوم للموت والقيامة في الكنيسة «من أجلك نُمات كل النهار قد حُسبنا مثل غنم للذبح» (رو٨: ٣٦)، «فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه» (رو٦: ٨). وفي الموت والقيامة تحيا أجيال وراء أجيال. الكنيسة التي تتحاشى وتتهرب من موت الصليب عن ذاتها وعن العالم تفقد موهبة وقدرة القيامة أي الغلبة على العالم. فتنطوي في النهاية صاغرة تحت سلطان العالم، وبذلك تكون قد فقدت قدرة الحكم عليه.

وأعظم القوى الكامنة في جسد المسيح في الكنيسة وفينا الذي «نحن لحم من لحمه وعظم من عظامه» هي قوة الجذب السري المذخرة فيه على كل المستويات «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع» (يو١٢: ٣٢). الكنيسة إذا أرادت أن تكون على هذا المستوى، لا بد أن تخدم سر الجذب الإلهي المذخر في جسد المسيح المستودع فيها، أي تجمع الكل في المسيح وتجتمع في الكل من أجل المسيح، على مستوى الإنجيل والأسرار والتقليد والتاريخ لتخدم كل قامة بشرية في الكنيسة وكل نفس حية تحيا في أحضانها. وكلما ارتفعت الكنيسة عن مستوى الأرض والتراب في روحها وفكرها وغاياتها كلما نشطت فيها قوى الجذب الإلهي وترتفع بالجميع في سر الصليب لتكميل سر الجسد المقام حسب قصد المسيح. أما المسيح فقد ارتفع فعلاً عن الأرض بالموت موت الصليب، وهل يمكن أن ترتفع الكنيسة لتقوى على الجذب بغير هذا الموت عينه سواء بالإرادة الحرة الواعية المصممة أو بغير الإرادة وعن ضعف، بالتسليم الكلي للذي بيده الموت والحياة؟ «لأن (المسيح) وإن كان قد صُلب من ضعف لكنه حيٌّ بقوة الله»

(٢ كو ١٣: ٤). لقد اكتشف القديس بولس سر الجذب في هذا الضعف وفي هذا الموت عينه «لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح» (في ١: ٢١)، «فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحلَّ عليَّ قوة المسيح» (٢ كو ١٢: ٩). فالمسيح أسس الكنيسة بضعفه لا بقوته.

وإن كانت أسرار الجذب الإلهي الكامنة في جسد المسيح في الكنيسة هي الأساس في وجود الكنيسة وحياتها وليس عن أي طريق آخر سوى قبول الضعف وقبول الموت أيضاً لحساب اكتمال جسد المسيح الذي ينبغي أن يكون في ذهننا بلا حدود ولا أسماء!! فكيف تقبل بل ترضى بل ترتاح أي كنيسة أن تعيش منفصلة عن كنيسة أخرى تحمل جسد المسيح عينه بكل جروحه وكل آلامه ومعاناته التي عانى، وموته الذي ماته على الصليب من أجل أن يرتفع ليجذب إليه الجميع؟ ومن هم الجميع يا ترى؟ الخلقيدونيون أم اللاخلقيدونيون؟ الشرقيون أم الغربيون؟ أهل الشمال أم أهل الجنوب؟ البيض أم السود؟



٤ — رؤيا ودية للإنقسام الحاصل بين الخلقيدونيين واللاخلقيدونيين

لقد فات على كثيرين من الذين يحللون الأوضاع السياسية والدولية الحاضرة في العالم المسيحي، سواء على المستوى الأيديولوجي الخالص أو على ما يتبعه حتماً مما واكبها من صدمات دامية بين بلاد وشعوب وأمم بل و بين بعض المواطنين من الوطن الواحد؛ أن الجزء الكبير من وزر هذه المآسي إنما يقع على الكنيسة التي فقدت دورها الأساسي في مصالحة العالم لله بسبب ما بلغته من الضعف والوهن، ليس فقط في الإتجاه الروحي التقوي الخالص الذي كان بحد ذاته قادراً فيما مضى على أن يهب القديسين في الكنيسة سلطاناً كفيلاً بأن يُخضع كبرياء الناس حتى الملوك فيهم و يطوعهم إلى فكر الله في الإنجيل، لتعيش الأمم في خوف الله وتنمو جميعاً لخير الإنسان حسب قصد الله «مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢ كو ١٠: ٥)، بل إن الوهن بلغ إلى أعماق الفكر اللاهوتي فاهتزت النظرة التقوية نحو الكتاب المقدس وأسفاره في كل مدارس اللاهوت الحديثة حتى بات الخوف لا من الله بل على الله نفسه أن يفقد كرامته ووجوده في مناهج هذه الكنائس وقلوب كثير من لاهوتييها. وهكذا ضاعت هيبة الكنيسة التي كانت تفرض كلمتها على العالم، والتي كانت تستمدها من قوة الحق بالروح القدس المدعم لوحدة الفكر والقول والعمل. وهكذا اهتزت أسس الكنيسة التي كانت في نظر العالم هي «عامود الحق وقاعدته.» (١ تي ٣: ١٥)

ولكن لم يأتِ هذا التصدع والإنقسام الفكري في الكنائس اليوم إلا كنتيجة متسلسلة عبر التاريخ للصدع الكبير الذي ورثناه ظلماً من منازعات وانقسامات

ومخاصمات خلقيدونية في القرن الخامس وما بعده.

والسؤال الحزين الذي لن يكون له جواب هو: لماذا يتنازع الجبابرة الأقوياء الأحباء في الرب وينقسم الأشقاء في الروح على بعضهم ويتخاصمون معاً، وإلا فعلى مَنْ عقد الله أمل مصالحة العالم لنفسه؟

ثم سؤال آخر أشد حزناً وإيلاماً، كيف دخل هؤلاء جميعاً إلى جلسات خلقيدونية في ذلك الزمان بملء الرجاء لبلوغ وحدة الإيمان والفكر والكلمة ولتبرئة ذمة كل واحد من كل فكر لا يرضي صلاح الله، فخرجوا محرومين مهانين ملطومين على الوجه مهشمي الأسنان، ليبدأوا تاريخ أكبر إنشقاق أثر على العالم المسيحي بأكمله وأضناه وأوهن قواه وترك الشرق فاقد الحركة، نُهباً لكل ناهب. وبات الغرب موجوعاً بوجعه، فاقد القدرة على المعونة وعلى المشاركة. ومما يزيد هذه المأساة حسرة وإيلاماً وإيهاماً ما انتهى إليه حديثاً، وفي هذه الأيام، أخلص المخلصين من اللاهوتيين اللامعين الأرثوذكس في إجتماعات المصالحة بين الخلقيدونيين واللاخلقيدونيين في مؤتمرات آرهوس في الدانمارك — أغسطس سنة ١٩٦٤م، بريستول بإنجلترا — في يوليو سنة ١٩٦٧م، وجنيف بسويسرا — أغسطس سنة ١٩٧٠م، وأديس أبابا في أثيوبيا — يناير سنة ١٩٧١م، والحسرة والمأساة هنا أنهم اكتشفوا بإتفاق معاً في مقررات المصالحة المقترحة أن هذا الإنقسام المريع الذي دام ١٥٠٠ سنة، وأورث العالم المسيحي كله هذا الضعف والعجز والهوان، لم يكن له ما يبرره على الإطلاق!!!

ولكن على أية حال كانت هذه المؤتمرات أول خطوة منذ زمن الإنشقاق السحيق تخطوها الكنائس بجرأة لتنتقل من يأس الفُرقة ومأساة العزلة إلى شبه فكر المصالحة. وهكذا بدأ خيط من الأمل يظهر في سماء الشرق يبشر بأن الوحدة المسيحية جديرة بأن تفرض سلطانها الروحي مرة أخرى، لتمسح من وجه الكنيسة جروح التاريخ وتريح أحشاء القديسين الذين انتقلوا على رجاء ذلك اليوم، وتسند وهن قلوب الأجيال الحاضرة التي أضناها التفرد والتمزق وبرَّحت بها آلام العزلة، وبالنهاية تفرح قلب الله.

٥ — ما هي القيم والقدرات التي تنبثق من الوحدة؟

أ — رفع الحروم معناه الفعلي والمباشر في دائرة الروح هو رفع العوائق التي تعيق الروح القدس عن العمل مجدداً في الكنائس بسكب مواهب جديدة لصالح العالم المتعب ولصالح كل كنيسة.

ب — قبول الشركة في الكأس الواحد معناه جعل الإثنين واحداً بالصليب، لرفع السر إلى أوج قوته، أي قبول قوة دم المسيح الذي له القدرة وحده على رفع العداوة وتكميل المصالحة في الجسد الواحد.

ج — قبول المصالحة معناه قبول قوة غفران جديدة من الله مقابل عمل المغفرة الذي يتم بين الكنائس الواحدة للأخرى، وهذا فيه إبراء ذمة لخلوص من دَيْن كان يتسبب دون أن ندري في إضعاف كل كنيسة «فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي.» (متى ٦: ١٤)

د — إن عودة الكنائس عن حياة العداوة التي عاشتها ١٥٠٠ سنة هي بمثابة توبة جماعية. هذه التوبة بحد ذاتها قوة جبارة سوف تُفرح وجه السماء كلها وستكون سبباً في أن تأتي أيام الفرج وأيام السلام لخير العالم كله «توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم **لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب ويرسل يسوع المسيح المبشَّر به لكم من قبْل الذي ينبغي أن تقبله السماء إلى أزمنة ردّ كل شيء** التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر.» (أع ٣: ١٩—٢١)

فهل جاء زمان «ردّ كل شيء» حسب كمال قصد الله؟ لعل آبن الله حينما يأتي يجد الإيمان غير منقسم بيننا، حتى لا يُحرم أحد منا أن يراه كما هو!!

هـ — فإذا استطاعت الكنائس الأرثوذكسية تجاوز الحواجز السلبية التي وقفت حائلاً دون تكميل وحدة الإيمان والحب والعبادة بينها، فسوف تنطلق قوة هذه المصالحة عينها في العالم تجرف أمامها بقية الحواجز التي أرهقت قلب الإنسان وعقله بين كافة الكنائس بل والأفراد.

لأن ما حدث في الإنقسام الأول في القرن الخامس في خلقيدونية بين الارثوذكس دون أن تدري الكنيسة بالعواقب الخطيرة التي سوف تحيق بالعالم المسيحي من جرائه، مهّد للإنقسام الثاني في القرن الحادي عشر بين الكاثوليك والأرثوذكس، والذي لا يزال يدفع العالم كله ثمنه باهظاً، ضعفاً وتفتتاً وانقساماً مع خصومات في العمق وعلى السطح. والكنيسة لم تدرك أنها هي التي زرعت روح العداوة والإنقسام في العالم، تلك الروح التي سرت بين الأمم والشعوب والأفراد فصارت هي منهج الحكومات والدول والتكتلات. لذلك على الكنيسة بعد أن حصدت المرارة أن تعمل بكل تقوى المسيح وحبه وأن تحمل همّ هذا العالم المنقسم والمتفتت الذي نوى أن يفني بعضه بعضاً.

ولكن لن تستطيع الكنيسة ولن تتأهل أو تُستأمن من الله أن تصلي أو تحمل همّ انقسام العالم وهي لا تزال منقسمة!! بل طالما هي منقسمة على ذاتها فهي لن تقوى على حمل همّ الإنقسام الحادث في العالم، بل هي تتحمل وزره فقط!! فالمصالحة الآن بين الكنائس ضرورة يحتاجها العالم و ينتظرها بفارغ الصبر حتى وإن كان لا يعيها ولا يدري قوتها أو مداها.

و — الأصل في كنائسنا الأرثوذكسية الشرقية هو الوحدة التي هي حصيلة صادقة لعقيدة الشركة وليس التفرد أو الإنقسام. فإن بدت الوحدة — أي اكتمال الشركة — بين الأرثوذكس صعبة لطول الفراق وتأثير عوامل السياسة التي طغت على كل ما عداها

في القرن الخامس والتي أسست روح العداوة، إلا أنه لا زالت الوحدة هي من صميم طبيعتنا الروحية والنفسية والبيئية بل واللاهوتية. فأحد العناصر الأساسية الذي يميز الإيمان الأرثوذكسي هو صدق الإيمان بشركة القديسين. فالكنيسة تصر على أنها أسرة روحانية أو بتعبير القديس بولس الرسول «أهل بيت الله» سواء كان ذلك في حياة الفرد أو الجماعة أو الكنيسة أو في منطوق العقيدة.

فلو تمعنا قليلاً في هذه الميزة الروحية اللاهوتية، لوجدناها أحد العناصر الغائبة الآن عن عالم الغرب الذي يعاني الآن من الفردية الطاغية في المجتمع والأسرة والدين والعبادة والعمل. وهذا كفيل إذا استشرى أن يودي بتماسك الكنيسة و يُضعف فرص الخلاص ووصول رسالة الحياة إلى الفرد الضائع وسط الآلات والتائه في خضم المدن، تتلقفه وسائل الإعلام والتسلية التي تقوم بدورها في تحطيم ما تبق له من فرص الإنتماء لكنيسة أو جماعة أو حتى الأسرة وتقتل فيه روح المحبة والألفة والحنين إلى وطنه السمائي.

فإذا تمت وحدتنا نحن الأرثوذكس، فستنشط فينا أولاً هذه العقيدة الإلهية بصورتها العملية أي الحياة في «شركة القديسين»، فيعود للكنيسة وجهها الروحي الأصيل وكأنها صورة العشاء الأخير والمسيح وسط تلاميذه. هذه الروح تنسجم مع روحنا وطبيعتنا الكفيلة أن تغذي الجماعة كلها بمفهوم جديد للحب الإلهي في أوسع نطاق حتى لا يكون عشق المسيح وقفاً على النساك والمتوحدين، بل هبة تتسع بقدر واهبها لتشمل كل ذوي الشكل الواحد في بيت «الله يُسكن ذوي الشكل الواحد في بيت» (مز ٦٨ : ٦ حسب الترجمة السبعينية)، أي الكنيسة المجتمعة بروح الشركة الحقيقية. وحينئذ سوف تكون الكنيسة الأرثوذكسية قادرة أن تؤدي رسالتها على مستوى العالم في الحب الإلهي وعشق المسيح كالأيام الأولى!!

لذلك فنحن نرى أن نجاح الوحدة بين الكنائس الأرثوذكسية سوف يخلق عوامل كرازية جديدة لصالح العالم المتغرب عن الله، بل وسوف يستخدمها الروح القدس ليسكب على العالم روح يقظة لعودة جماعية فيطلب الناس وجه الله: «قلت اطلبوا

وجهي. وجهك يا رب أطلبُ.» (مز ٢٧ : ٨)

وهذه الوحدة كفيلة أن تتم بصورة محققة من أجل صالح العالم كله إن كنا حقاً قادرين أن نسلِّم أنفسنا لمشيئة الروح القدس دون أن نضع العراقيل في وجه الله. لأن الروح ينتظر ما سنعمله بإخلاص من أجل الوحدة ليعمل مثله مائة ضعف، لأن الوحدة بين الكنائس إن كانت تعتمد في حركتها الأولى على رغبتنا ومشيئتنا الحرة، لكنها لا تكون ولا تتم إلاَّ بقوة الروح القدس ومشيئته وحده.

ز — يوجد في الروحيات قانون يختلف عن نظيره في الماديات، وهو أن في الماديات الواحد (أ) إذا أضيف إلى الواحد (ب) صارا أثنين (أ + ب) كفاءة وقدرة وإنتاجاً. أما في الروحيات فإذا أضيفت روحيات (أ) من الناس أو الكنائس إلى روحيات (ب) صارت حصيلة الروحيات عجيبة حقاً لأن روحيات (ب) حين تضاف إلى روحيات (أ) تكون النتيجة أ ب. لأن الإضافة في الروحيات تتم على أساس الإتحاد وليس الإضافة. وفي النهاية نجد حصيلة الروحيات بإتحاد أ، ب هي (أ ب، ب أ) أي تضاعف الحصيلة بصورة سرية مذهلة، لأن كل واحد سيملك مواهب الآخر متحدة بمواهبه وكأنها مواهبه الخاصة !!

وهكذا تستطيع كل كنيسة أن تكتسب من الإتحاد بالكنيسة الأخرى ما يجعلها تبلغ من التقدم والإرتفاع بالروحيات إلى مستويات كان يستحيل عليها بلوغها بمفردها.

ولكن المدهش حقاً هو أن الكنائس المتحدة تبلغ بإتحادها ما لا تستطيع الكنائس مجتمعة أن تبلغه **بغير الإتحاد**. وفي هذا السر تكمن القوة الجديدة التي هي من طبيعة الله اللانهائية التي يحتاجها العالم الآن ولا يجدها بل ولن يجدها في كنيسة ما مهما بلغت من القوة، لأن قوة المسيح العظمى لن يبلغها العالم إلا في ملء قامة المسيح، أي وحدة جسده، جسده هذا الذي تمثله الكنيسة الآن منقسماً وممزقاً، بانقسامها وتمزقها.

هذه الوحدة الكامنة في سر الشركة التي تعطلها الإنقسامات الآن هي في الحقيقة قوة

التجلي التي يتمخض بها العالم منذ مدة في مرارة ألم الموت، منتظراً ميلاده الجديد ككل «قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه» (رؤ ١١ : ١٥). لذلك فإن سر الوحدة العظمى بعينه هو سر التجلي أو سر اللانهائية الذي يحو يه الجسد الواحد للمسيح والذي لا يتحقق إلا في وحدة الشركة، وقد تبين أنه القوة الوحيدة التي ينعقد عليها تجلي العالم وحضور الله فيه لإنقاذه من دوامة الهلاك. لذلك أصبح محتماً على الكنائس أن تستمد من هذه الحقيقة قوة تخرجها من جودها وأنانيتها وتفردها وجُبنها أحياناً لتصير قادرة على قبول كل متطلبات الوحدة.

ح — واضح أن العالم يتحرك دائماً نحو التحرر من الكنيسة، لأن الكنيسة هي التي تعطيه الفرصة دائماً للتحرر منها بقدر ما تتحرر هي من خضوعها الكلي والإلتصاق بالله، لذلك فعودة العالم لروح الكنيسة رهن بعودة الكنيسة لروح الله.

ومعروف قطعاً أن العالم المسيحي يستحيل و يستحيل بكل تأكيد أن يتحد بالله بدون الكنيسة. في الكنيسة مُعلَن برُّ الله بالإيمان بالمسيح للتوبة والخلاص والإلتصاق بالله.

كل من ذاق التوبة الحقيقية واستعلن سر الخلاص يدرك أن العالم لا يدور حول ذاته، بل إنه يمتد عبر الزمن مبتعداً عن ذاته. فالعالم يتغير عن شكله بسرعة مذهلة، كما أن الذين يعيشون سر الخلاص يتحققون أن العالم لا يبتعد عن ذاته ليسير نحو المبهم أو اللاشيء، بل إن أعماق الإنسان الروحي توحي بقوة أن العالم يتحرك نحو الله عبر إخفاقاته في مسيرة حزينة. ولكن مسيرته المتعثرة هذه لا تخلو من الملهمين من عظمائه وقديسيه الذين قد أصبحوا قِلَّة غير قادرة على التأثير. والكنيسة في وهن عظيم لا تقوى على إلهام العالم أين الطريق إلى الله، فهل من يتفهم هذا؟

الكنيسة — كل كنيسة — خلقيدونية أو غير خلقيدونية متوهمة أنها تعمل لصالح شعبها وحسب، ملهوة بذاتها، ولا تريد أن تدرك أن مصالح خاصتها لا تُقاس بمصير

العالم. فاهتمام كل كنيسة بخاصتها دون الإهتمام بمصير العالم وبما هو للغير يحمل تكريساً لمرارة الإنقسام ويجعل كأس الشركة في الكنيسة ينقصه روح الشركة!! وحضرة المسيح في الكنيسة ينقصها العالم الذي أحبه الله وفداه!!

ط — دعاء المسيح «لست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني» (يو١٧ : ٢٠، ٢١)، الوحدة التي يطلبها المسيح لنا «جميعاً»، لكل إنسان، لكل كنيسة، ولكل من يريد أن يكون في مرمى دعاء المسيح هذا أو تحت طاعة دعوته أو بالحري مستجيباً لوصيته العظمى هذه، هي وحدة سرية للغاية — لا يستطيع العقل البشري أن يستنفذ كل شروطها أو يضع بنودها أو يتصور حدودها، فلنلتفت جيداً لأن أي محاولة من هذا القبيل كفيلة أن تفوّت علينا سر المسيح بل سر المسيحية لأنها على مستوى قيام المسيح في الآب وقيام الآب في المسيح ليس من جهة الكلمة الأزلية وحسب بل من جهة الإنسان يسوع المسيح؛ هذه الوحدة التي جعلت الله يرتضي بدم المسيح المسفوك على الصليب ثمناً لها!!

وفي هذا الإحتساب يكمن لنا سر الخلاص الأبدي بقوة الله العظمى التي جعلت قيامة المسيح بالتالي قوة موهوبة للإنسان والكنيسة والعالم ليدوس الموت و يلغي الفناء و يدخل في جدة الحياة مع الله، متجاوزاً الزمان بكل أبعاده ورعبته التي تهدد الكيان الإنساني.

المسيح يضع أبعاد قوة إتحاده بالآب وإتحاد الآب به نموذجاً وهوية لوحدة يطلبها لنا فيه ولبعضنا البعض «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا». وهو إذ يراها تفوق قدراتنا وتصوراتنا عاد يطلبها و يلح في طلبها من الآب نفسه! ولا يزال متوسلاً بدمه!!

إذن إتحاد الكنائس المنشود ليس هو إتحاداً ذا أبعاد زمنية أو جغرافية — كما يقولون — أو يمكن أن يُبنى على أي أساس بشري أو فكري مهما كان، لأنه مطلوب أن يكون

إتحاداً بالآب عبر المسيح أولاً، ثم تظهر أفعاله وقوته فينا على مستوى الزمن والعالم بعد ذلك. ولكن لأن المسيح يعرف مسبقاً أن مثل هذه الوحدة التي ستجمعنا معاً فيه بالآب ستكون ذات مواهب وقوات وتأثيرات فائقة على مجموع الجنس البشري، أعلن بكل وضوح أن هذه الوحدة سيكون لها عمل مباشر لإيمان العالم بالمسيح «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا **ليؤمن العالم أنك أرسلتني**»!!

إذن، بكل إختصار ووضوح نقول إن القوة الناتجة من إتحاد الكنائس هي قوة كرازية للعالم دون صوت أو كلام «بلا صوت ولا كلام وإلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم» (مز١٩ : ٤)، الأمر الذي أُعيت فيه الكنائس حتى الآن. لأن الكنائس فيما مضى أرادت أن تظهر ذاتها للعالم بكلمات المسيح، ولكن في الإتحاد السري الإلهي المطلوب للكنائس سوف يُظهر المسيح نفسه للعالم عبر وحدة الكنائس في المحبة الإلهية!! وكأن الوحدة ستكمل وتتم من خلال موت الذات Ego لكل كنيسة لتحيا ذات المسيح فيها جميعاً ثم تنبثق من الكنيسة أمام العالم وللعالم كقوة قيامة، وهي نفس القوة التي أقامت المسيح — أو بالحري يقوم المسيح فيها و يراه كل بشر!... وهكذا ينتظر المسيح إتمام هذه الوحدة بشروطها الطوعية وغير الطوعية ليتجلى من خلالها للعالم. وكأن المسيح الآن بهذا الإنقسام ميت ومخفى عن العالم، كمدفون داخل برودة عداوة انقسامات الكنائس، ينتظر، والعالم ينتظر معه نهايتها ليسري دفء المحبة ومن خلالها يقوم يعطي الحياة، و يراه كل بشر فيحيا العالم ولا يموت «إني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو١٤ : ١٩)، «في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم، الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني. والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي» (يو١٤ : ٢٠، ٢١).

ونحن نؤمن حقاً أن من خلال الكنيسة الحية في المسيح والآب المتطهرة والحافظة لوصية الوحدة والحب هذه سوف يرى العالم المسيح كما هو، و يتطهر، فينجذب إليه و يتبعه؛ ألم يحب الله العالم و يبذل ابنه الوحيد عنه لكي لا يهلك؟ ألم يأخذ المسيح جسداً

من العالم و يتحد به ضماناً لبقاء العالم على صلة سرية بالله ومنجذباً إليه؟ ثم ألم يستودع الله سر جسده هذا للكنيسة لتصير مسئولة عن هذه الصلة ودوام هذا الجذب؟



٦ — العقبة الكبرى أمام الوحدة

في الجلسات غير الرسمية التي تمت حتى الآن بين الكنائس الخلقيدونية والكنائس اللاخلقيدونية تراءى لهم أن الخلاف حول المسيح وتحديد ماهيته الإلهية يمكن الإتفاق فيه على صيغة موحدة للعقيدة تكفي للبدء في إجراءات الوحدة. ولكن في ظني أن هذا أمر مستبعد. والإنجيل يشير في موقف مماثل لمثل هذا الخطأ في الظن. ففي يوم ما قبل الصليب بقليل سأل المسيح تلاميذه: «وأنتم من تقولون أني أنا»؟ فاتفق التلاميذ بلسان بطرس على صيغة موحدة للعقيدة فيمن هو المسيح، وكان مضمونها رائعاً حقاً وموافقاً للإيمان الصحيح بل وملهماً من الله مباشرة، بشهادة المسيح على ذلك: «فأجاب بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي، فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا إن لحماً ودماً لم يعلن لك ولكن أبي الذي في السموات.» (متى ١٦: ١٥—١٧)

ولكن للأسف هذه الصيغة الأرثوذكسية الدقيقة الملهمة حقاً من السماء لم تسعف التلاميذ ليكونوا واحداً في أي شيء لا من جهة الفكر ولا من جهة الإيمان العملي بالمسيح، ولا حتى قائلها نفسه. فبطرس أنكر المسيح قائلاً إنه لا يعرفه، والتلاميذ تفرقوا كل واحد إلى خاصته، و بعضهم ذهبوا إلى مهنتهم الأولى، وذلك قبل أن يحل الروح القدس يوم الخمسين. بل ونسمع أنهم تشاجروا فيما بينهم على من هو الأكبر (لو ٢٢: ٢٤). واضح إذن أن صيغة الإيمان المتقن الصحيح المعترف بها علناً و باتفاق الجميع حتى ولو كانت بإلهام الآب السمائي فيما يخص المسيح لا تكفي لإتحاد التلاميذ أو الكنائس في وحدة الشركة في المسيح والعمل والحب والبذل والموت معه!!

لأن العجيب حقاً أن في نفس الأصحاح الذي اعترف فيه بطرس الإعتراف

الصحيح بالمسيح سلك سلوكاً جعل المسيح يقول له: «آذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» (مت ١٦: ٢٣). أليس هنا تكمن علة إخفاق الإيمان الصحيح لبلوغ السلوك الصحيح؟ «أنت هو المسيح ابن الله الحي»، ثم «**أنت لا تهتم بما لله لكن بما للناس**» مما جعل المسيح يستدرك هذا الخلل بين الإيمان والسلوك، واضعاً وصية المصالحة بينهما «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه» (مت ١٦: ٢٤). ولكن عاد التلاميذ بالرغم من ذلك يسألون المسيح «**من هو أعظم في ملكوت السموات**» (مت ١٨: ١)، مما جعل المسيح يعيد صيغة المصالحة بصورة أخرى إيجابية «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات.» (مت١٨: ٣)

هكذا يتضح أن صيغة للإيمان الصحيح متحدة ومتفق عليها لن تكفي لتكون واسطة لإتحاد حقيقي بين الكنائس، وإن كانت أساسية جداً. فالإنقسامات أخذت أبعاداً روحية وذاتية وعرقية ودنيوية، وحتى على مستوى السياسة. والمسيح ليس هكذا، ولا عرفناه هكذا، فوقفنا السلوكي من المسيح يختلف عن حقيقة المسيح. هذه هي جذور الإنقسام السامة التي ستظل تغذي الفُرقة والإنقسام مهما اتفقنا على صيغة جميلة وصحيحة للإيمان مثل صيغة بطرس.

بل إن حال الكنائس صار أصعب من حال التلاميذ في ذلك الزمان، قبل أن يحل عليهم الروح القدس، لأن التلاميذ كانوا في مجرد شك «من هو الأعظم في ملكوت السموات»؛ أما الكنائس اليوم فقد بلغت اليقين في هذا الأمر لأن كل كنيسة ترى نفسها أنها هي الأعظم في ملكوت السموات بلا جدال!! لأنها ذات الإيمان الأصح والأدق!! أما إنكار الذات المطلوب مع الإيمان والعودة إلى ذهنية وضمير الطفولة في قوة بساطة الإيمان بالمسيح فهو أمر نخشى ونخجل جداً أن نقول أنه لا ينطبق على الكنائس ولا يوجد أحد في أي كنيسة مفوضاً ليقوم به!!

إذن، نحن نفتقد الكنيسة التي تستطيع أن تتصرف تصرف المسيح، تنكر ذاتها وتحمل الصليب وتموت عن خطية الإنقسام، فتحيا وتُحيي معها الآخرين. فأخطر ما هو

غائب عن الكنائس المنقسمة اليوم هو المسيح نفسه وإياه مصلوباً!! وبلغة الحوار، فإن العنصر الغائب في الكنائس المنقسمة هو: أية كنيسة من الكنائس تستطيع أن تتحمل أخطاء الماضي لترفع عن نفسها وعن الآخرين خطية الحاضر، أي هذا الإنقسام والتمزق، فتتم الوحدة وتتم المصالحة وتنتصر المحبة؟

ولكن الكلام عن الموت الإرادي وقبول الإهانة والصلب صعب، من يفهمه؟؟ هذه نفسها كانت قضية التلاميذ حينما تكلم المسيح عن حتمية الإهانة والموت والصليب في حياته «ها نحن صاعدون إلى أورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن آبن الإنسان **لأنه يسلَّم إلى الأمم ويُستهزأ به ويُشتم ويُتفل عليه ويجلدونه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم — وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئاً**، وكان هذا الأمر مخفى عنهم ولم يعلموا ما قيل» (لو ١٨: ٣١—٣٤). لذلك فصوت القديس بولس الرسول سيكون ذا نفع عظيم في حوارنا حول الوحدة «لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً» (١ كو ٢: ٢)، بمعنى التقدم بروح الرب يسوع حيث كل كنيسة تحمل **أخطاء الكنيسة الأخرى** على نفسها في وقت واحد متزامن ومتبادل. نقول «كل كنيسة تحمل أخطاء الأخرى» وليس أكثر من ذلك.

ولكن الإجتماعات غير الرسمية للكنائس وحوارها الذي دام الآن عشرات السنين بجهود ومحاولات واقتراحات جديرة بالإحترام يستحيل أن تعطي مثل هذه الدفعة لكي تقف كل كنيسة موقف المسيح وتتحمل أخطاء الآخرين، الأمر أعظم من حوار فكري وجلسات مطولة وحلول فكرية؛ الكنائس أمام حرومات سابقة. الكنائس تجتمع في غياب رسمي للروح القدس، فأصبحت الإجتماعات لا تزيد عن كونها كشفاً لجروح الماضي لمزيد من التألم.

٧ – دور الروح القدس في الإجتماعات غير الرسمية

الكنائس تجتمع وتعلن رسمياً أنها إجتماعات غير رسمية، لماذا تصر أن تكون غير رسمية؟ حتى تبقى الكنائس الرسمية غير ملتزمة بالنتائج؟ لكي لا يستطيع أي وفد أن يخرج عن قانون كنيسته وتقليدها قيد شعرة؟ لكي لا يكون لأي وفد أي صلاحية أن يتنازل عن موقف ما؟ أو يعترف بخطأ حدث من جانبها في الماضي أو الحاضر؟ أو يعترف بصحة موقف الكنيسة الأخرى أو حتى يعفو عن خطأ الآخرين؟ وبالأكثر جداً وبالنهاية لكي لا يكون لأي وفد سلطان رفع الحرومات القائمة وإعطاء الحل لكنيسة أخرى!!

وبمعنى آخر تصر الكنائس أن تجتمع وفود الكنائس معاً إجتماعاً غير رسمي لتبقى في غياب الروح القدس رسمياً، حفظاً لبقاء الأوضاع كما هي! هذا الوضع يذكرنا باجتماع التلاميذ وهم في حالة خوف وتبدُّد في العلية والأبواب مغلقة. الروح القدس غائب والمسيح ميت في القبر، والقيامة لم تُعلَن بعد. أما التلاميذ فكانوا خائفين من كل شيء ومن اليهود وقد غاب معلمهم.

فمن تخاف الكنائس وتغلق أبواب فكرها على نفسها الآن؟ والمسيح قد حطم كل العداوة بين أعتى النظم والقوانين والتقاليد الموروثة في العالم، أي بين اليهود والأمم، وجعل الإثنين واحداً فكراً وقلباً وروحاً وعبادة، بل وحطم الحجاب الأزلي الذي كان يفصل الله نفسه عن الإنسان، وصالح السمائيين بالأرضيين كما حطم أبواب الجحيم

وفك أسر الأرواح المسجونة تحت سلطان الشيطان. هل بعد ذلك يجوز أن تضع الكنائس الحواجز والأقفال وتغلق على نفسها أو على غيرها الأبواب؟؟ ولكن حتى وبعد أن أُعلنت القيامة وظهر المسيح بالجسد وجروحه في يديه وجنبه وأعطاهم السلام، عاد التلاميذ إلى طبيعتهم الأولى إلى ذهنية الخوف والتردد، فبعضهم شكُّوا وبعضهم ترك الجماعة وذهب لمهنته القديمة يصطاد سمكاً؟؟

في الإجتماعات غير الرسمية نرى الوفود منشغلة حول صياغة مصالحة دقيقة للوحدة. ولكن على ضوء ما فات نرى أنه حتى ولو ظهر لهم المسيح نفسه ووقف في الوسط وجسوه ولمسوه فبقاء الشك محتمل وقائم، والخروج عن الإجماع محتمل وقائم، إذ لا يزال عنصر الوحدة الذي يمنحه الروح القدس غائب وهو وحده المنوط به منذ البدء تحطيم كل ما هو عتيق وبالي في فكر الإنسان وقلبه، كل ما يتعارض مع محبة المسيح ويعطل مسيرة الكنيسة في طريق الحياة الأبدية. وهو وحده الذي يفك الربط والأغلال التي عطلت وحدة الكنيسة وعرقلت عملها في العالم بصورة حزينة ووفرت للشيطان كل الفرص لزمان طويل أن ينهب شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً حتى بات العالم وكأنه يحتاج إلى إعادة بدء تاريخ لميلاد جديد؟!!

إذن لقد أصبح الآن الخضوع للروح القدس أمراً حتمياً حتى نحصل على أفضل الفرص لا للسلام والمصالحة فقط بل لبدء خميرة جديدة في العالم لحياة جديدة، لأن الإنقسام والتمزيق في العالم تغلغل إلى أعماق الفكر والوجدان والروح والمؤسسات، حتى أصبح خضوع الكنائس لسلطان الروح القدس يمثل اليوم أصعب وأخطر عمل تواجهه الكنائس منذ نشأت، لأنه يمثل المعركة الفاصلة مع قوى الشيطان الذي هو مزمع أن يفتت ويقسم كل شيء في العالم لخرابه «كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب. وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت» (مت ١٢: ٢٥)؛ مع أن الكنيسة هي في الأصل ومنذ البدء المسئولة عن إشعال الروح القدس في العالم «أنتم نور العالم» (مت ٥: ١٤) وما هو النور سوى القيم الروحية الخالدة ووحدانية الروح وأعمال المحبة.

فإذا غابت هذه القيم الروحية وانفصمت وحدانية الروح وتبددت طاقة المحبة بين إنقسامات الكنائس فمن الذي سيتصدى لروح الشر والضلال، وكيف سيصل صوت أنين العالم إلى الله؟

والعالم يجهل الله بطبيعته ولا يعرفه إلاَّ من خلال أعمال الكنيسة. الكنيسة هي التي تقدم الله للعالم، ليس بالكلام المقنع ولكن ببرهان الروح والقوة في أعمال فداء بطولية وآيات محبة وتقوى وتعفف تلهم العالم وتضبطه.

المحبة هي طاقة الكنيسة الكامنة التي لن تنضب ولكنها لن تفيض على العالم إلا من خلال وحدانية الروح والقلب الواحد.

الكنيسة لا تستطيع أن تقدم للعالم هذه الطاقات والقيم الخالدة من خلال اللاهوتيين المبرزين وحسب بل وأيضاً من خلال القديسين منهم ومن خلال سائر الأفراد القديسين البسطاء ذوي القدوة العالية، فالروح القدس يعشق القديسين أينما كانوا ومنهم يصنع كنيسة المسيح «(الروح القدس) يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً.» (يو١٥: ٢٧)

لذلك مهما حمَّلنا الكنيسة من مسئوليات الوحدة وغيرها، فهي في النهاية تقع على كتف القديسين. وإن طلبنا بداية عاجلة فعيوننا شاخصة على المختارين والموهوبين في كل كنيسة مهما اختبأوا ليتواروا عن الأنظار.